المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد الثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٤ شوال سنة ١٣٢٣

السر هنري ارفنغ

لقد يعجب المرء لاول وهلة اذا دخل كنيسة وستمنستر التي يدفن فيها ملوك الانكليز وعظماؤهم ورأى ضريح ممثل من الممثلين او شاعر من الشعراء بجانب اضرحة كبار الملوك والقوّاد والوزراء . ولكنهُ اذا نظر في الامر مليًّا لم يرَ سببًا للعجب لان النوابغ الذين يفوقون غيرهم لا ينحصرون في فئة من الناس والنابغة في الشعر او في التمثيل او في الغناء كالنابغة في سياسة الممالك او في قيادة الجيوش ولا مزية للواحد على الآخر الاّ بمقدار ما يسترعي السمع ويحمل الامَّة على اكرامهِ فاذا نهضت الامة واكرمت شاعرًا او مغنيًا في حياتهِ وطلبت ان يكرم في مماتهِ فقولها القول الفصل وكلمتها هي المرعية . ومن هذا القبيل اكرام الامة الانكليزيَّة للسر هنري ارفنغ الممثل المشهور الذي توفي بالامس

ولد هذا الرجل سنة ١٨٣٨ واسم ابيهِ صموئيل برودريب ولكن السر هنري انتحل اسم ارفنغ سنة ١٨٨٧ برخصة ملكية . وكان مولعًا منذ صغرهِ بمطالعة الاقاصيص الشعرية فحفظ منها ما راقهُ . ولما بلغ الحادية عشرة اتى مدينة لندن ودخل احدى مدارسها وكان يقضي وقتًا طويلاً في مكتبتها يقلّب الكتب القديمة وينتقي الخطب التي كان يُطلب من التلامذة حفظها فيفضّل ما كان كثير الخيال منها

وبعد ان اقام في المدرسة سنتين اخرجهُ ابوهُ منها وادخلهُ مكتبًا تجاريًّا ليكون كاتبًا فيهِ فكان يأتي كلَّ يوم بالدواوين الشعرية والروايات التمثيلية ويطالعها في ساعات الفراغ ويبذل الجهد في استظهارها حرفًا حرفًا . وكان راتبهُ ١٣ شلنًا في الاسبوع فكان يوفّر منهُ بعض دريهمات لمشترى كتب التمثيل وينهض كلَّ يوم الساعة الرابعة صباحًا فيمشي الى النهر حيث

كان يفتش ثم يشرع في قراءة تلك الكتب وحضر فيه حتى الساعة التاسعة وهو وقت فتح المكتب

السر هنري ارفنغ يقرأ الشعر تيسن

واتفق ان بعض المولعين بفنّ التمثيل نظم فرقاً لدرس هذا الفنّ فكان تلامذة كلّ فرقة يجتمعون في مكان معيّن ويتلو كلٌّ منهم ما اختار حفظهُ ويتفنن في الالقاء والاشارات كما لو كان يمثّل على المشهد فينتقد الآخرون القاءهُ واشاراته . وفي ذات مساء دخل عليهم شابٌّ حسن الطلعة طويل القامة لابس ملابس سوداء ولم يكن احد يعرفهُ . فجلس يصغي الى ما يقال حتى جاء دورهُ فوقف وجعل يلقي ما وعاهُ من غير ان يعتذر عن تطفّلهِ عليهم فأعجبوا بهِ غاية الاعجاب وهو هنري ارفنغ . واختيرَ عوّلوا على التمثيل في المشاهد العمومية فطرب ارفنغ لذلك وكان كلما القى شيئاً في دورهِ يصغي لهُ السامعون و يستعيدونهُ وكان يميل الى تمثيل ادوار الرجال في الروايات ولكن حال دون ذلك نحافة جسمهِ ونظافة قدّهِ فكان يعطى ادوار النساء

اما ابوهُ فكان يؤمل انهُ يرتقي في وظيفتهِ من كاتب الى شريك ولكنهُ كان ضعيف الرأي فلم يقاوم تعلق ابنهِ بغريزِ التمثيل . واما امهُ فهالها ذلك الامر ورأت في تعلقهِ بالتمثيل ضياع آمالها فتوسلت اليهِ ان يترك التمثيل وشأنهُ وكانت مخالفتها اصعب شيء عليهِ لانهُ كان يحبها فحاول اقناعها بانهُ مصيبٌ في رأيهِ ولكن على غير طائل لان نفورها من التمثيل كان شديداً وحبها لابنها كان اشدّ حتى انها اجتمعت مرةً بالممثلين الذين كان ابنها منتظماً في سلكهم وكلمت كلاً منهم على حدة وتوسلت اليهِ ان يقنع ابنها بالعدول عن اتخاذ التمثيل حرفة لهُ . لكنهُ لم يعبأ بذلك كلهِ بل ظلّ يواظب على الدرس والمطالعة في ساعات الفراغ نهاراً وحضور فرقة التمثيل ليلاً ولجأ الى ممثل معروف فكان يعلمهُ كيفية الالقاء وإتيان الاشارات ساعة كلّ يوم. ولم يكن قد حضر تمثيل الروايات في المشاهد العمومية بسبب ما كان يلقى من مقاومة عائلتهِ لذلك فاغتنم الفرصة ذات ليلة وخرج من المنزل سرًّا وحضر تمثيل رواية "هملتْ" في احد المشاهد وخرج مرة ثانية وحضر تمثيل رواية اخرى وعاد الى منزلهِ الساعة الواحدة بعد نصف الليل وكان اهلهُ قد دروا بخروجهِ فرأهم مجتمعين يندبون مستقبلهُ ويبكون ضياع آمالهم بهِ

ولم يمضِ زمان طويل على ذلك حتى ترك المكتب واعلن عزمهُ على الانتظام في سلك الممثلين جهاراً . وفي سبتمبر سنة ١٨٥٧ ظهر اول مرة في مشهد عمومي وما زال منذ ذلك الحين يواظب على التمثيل بلا كلل ولا ملل حتى طبقت شهرتهُ الآفاق وانعمت الملكة فكتوريا عليهِ بلقب سر سنة ١٨٩٥ وهو اول ممثل اعطي هذا اللقب

الّا ان الشهرة لا تأتي عفواً . وليس الناس بالمبذرين في اكرامهم لغيرهم حتى يكرموا من يستحق الاكرام ومن لا يستحقهُ . فلم ينل ارفنغ ما نال من الشهرة الواسعة الّا بعد ان دفع ثمنهُ سهرًا ودرساً واجتهاداً قلَّ ان فاقهُ احد فيها . وهذا مضافاً الى ما ميزتهُ بهِ الفطرة من المزايا اللازمة للتفوّق في فن التمثيل اكسبهُ ما اكسبهُ من المقام بين قومهِ . ولقد اجمع الباحثون في سيرتهِ على انهُ رقّى فن التمثيل في البلاد الانكليزية وجعل عقلاء الامة وعلماءها يرغبون فيهِ بعد ان رغبوا عنهُ زماناً طويلاً . ولم يقصّر في ما يتطلبهُ اهل العواطف والازياء بل ارضى الجميع فرأى العلماء والحكماء في تمثيلهِ علماً وحكمةً واهل الخيال ومحبو الجمال تخيُّلاً وجمالاً وطلاّب القصوف والتسلية ما يسر ويسلّي فاجمعت الامة على الاعجاب بهِ من حين قام في مشاهد التمثيل الى ان واراهُ لحدهُ وختمت اكرامها لهُ بدفنهِ حيث يدفن اعظم عظمائها وبتأبينهِ في جرائدها كأنهُ اعظم النابغين فيها